

اجترار الكذب

بعد الانتخابات الفرعية في المتن الشمالي استخلص المحتل السوري مع إفرازاته السلطوية العبر من نتائج المعركة، وقرّر التصدي لمحاولة توحيد المعارضة، فأطلق عميله التائب الذي أسقط قناعه أخيراً ليهاجم الخط الصلب في المعارضة، فصنّفه وفق معايير الانصياعية متطرفاً، لأنه يؤمن بثوابت وطنية مقدسة، والتي بدونها يسقط الوطن بمن فيه، وعلى من فيه. وبدأ بالتالي سلسلة من المناورات المغرية، لم تكن خافية الأهداف بالنسبة لنا، فنبهنا إلى مرامي الفتنة التي تكمن وراءها، ولكن بعضهم سقط فيها لأسباب أو لأخرى، وليس من المفيد الدخول في تفاصيلها اليوم، وقد تفرض أيضاً تطورات الأحداث عدم الخوض بها غداً.

فالاتخابات بهذا الأذى من الشروط اللانقية، أبرزت توجهاً استقلالياً كبيراً، ووعياً للمشكلات الحقيقية، ما لبث أن عمّ مختلف المناطق التي بدأت تتقارب وتتناغم وتتواصل وطنياً، متخطية كل الحواجز المصطنعة، وبدأ اللبنانيون يكتشفون مجدداً، بعد انقطاع قسري، بأنهم يتقاسمون نفس الأمانى والآمال، تعبّر عنها إرادة حياة واحدة، وتغذيها نزعة للعيش بسلام وطمأنينة مع الآخر. هذه الأمور بدأت تشكل حالة مقلقة للأوصياء، الذين أقاموا دورهم على قصور اللبنانيين وعلى عدم إدراك حقائقهم، فحالة الوعي والإدراك لدى اللبنانيين تشكل المدخل إلى التلاقي، وعودة الوطن إلى أهله، وبالتالي إنهاء حالة الابتزاز التي يعيشونها في مختلف طبقات المجتمع وقطاعات العمل. ولذلك "عادت حليلة إلى عاداتها القديمة"، فاستنفرت عدّة عملها من العملاء بأزيانهم المختلفة، وبدأت تقصف عشوائياً في كل الاتجاهات، وعلى كل من يتجرأ ويقول "لا"، حتى لو كانت هذه "اللا" تعبّر عن عدم الرغبة بالشرب أو بتناول الطعام. وكان لا بد والحالة هذه، من إعادة البلاد إلى مواجهة زجلية طائفية، تنشر أجواء تناحرية إعلامية، وذلك بصرف النظر عن مدى صحتها وعمقها في نفوس الناس، طالما المهم هو المظاهر التي تفرضها السجلات المذهبية، والتي توقف التفاعل الإيجابي بين شرائح المجتمع.

وللاستمرار في هذه الحالة، كان تعطيل وسائل الإعلام المتمردة كمحطة الـ MTV، وإخضاع الباقي إلى المراقبة الذاتية، مع فرض منع المتمردين على الخطاب الإيديولوجي، من الظهور والتوجه إلى الرأي العام، وإظهار الحقائق أمامه.

ولإغراق الرأي العام أكثر في فوضى الشائعات، تتعدّد الافتراءات، ويدخل القضاء في لعبة التشهير، عبر خلق استنابات حول تهم وهمية غير واردة سوى في ذهن نمامي مصادر الأجهزة، بغية إعطاء "سياسي الأجرة" مادة للتعليق، وتأمين الأجواء المسعورة في البلد.

قصص تقوم على اجترار الكذب في مجتمع سياسي أشرف على الهلاك، بعد أن أرهق شعباً بكامله، ويحاول تغطية جرائم الإفلاس بخلق الفتن، والتستر وراءها، هرباً من مواجهة مسؤولية الضلوع في هذه المؤامرة المستمرة، بأوجهها المتعددة.

إننا نترفع عن السجال الطائفي، ونسخر من القائمين به، ونكمل مسيرتنا على أساس المطالبة بكل الوطن، وليس بحصة فيه؛ وطن يكون لمواطنين يتساوون فيه بالحقوق والواجبات، وليس لمذاهب تتقاسم فتاته برعاية محتل يزرع فيه التفارقة، ويمنع التلاقي والوئام.

ولن يستطيع معنا محتل أن ينقل المواقف الوطنية إلى حلبة الصراع المذهبي، لقد حاول ذلك مراراً وفشل، وسيفشل دائماً...

ومهما طال حبل كذبه، سيبقى قصيراً أمام أبدية الحقيقة.